دواعي تبني المدرسة الجزائرية للمقاربة بالكفاءات في ضوء الإصلاح التربوي الأخير: مقاربة نظرية تحليلية

The reasons for the adoption of the Competency approach in Algerian School in the light of the recent educational reform: Analytical theory approach

د. فضيلة حناش
أستاذ محاضر "أ "
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة
fadhila.haneche@gmail.com

د. علي فارس
أستاذ محاضر "أ"
جامعة سطيف 2
ali-faresmaster2013@hotmail.fr

ملخص الدراسة:

يعرف إصلاح المنظومة التربوية بالجزائر مراجعة عميقة ومستمرة للمناهج التربوية أهم ما يُميزها تبني المقاربة بواسطة الكفاءات التي عرفت رواجاً واسعاً قلب رأساً على عقب مناهج التعليم ومضامينه.

وما من شك في أنَّ تطوير المناهج التربوية لا يُمكن أن ينشأ من العدم بل أنَّ ظروفاً وأسباباً تدعو إلى التطوير وإعادة النظر في المناهج المدرسية. فما طبيعة هذه المقاربة البيداغوجية الجديدة؟ وما دواعي انتهاجها كخيار ابستيمولوجي في إصلاح التعليم؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه المداخلة التي نحاول فيها، من خلال مقاربة نظرية تحليلية للموضوع تسليط الضوء على دواعي إدخال المقاربة بالكفاءات إلى مجال التربية والتعليم؛ وذلك في ضوء ما تضمنته مرجعيات التعليم ومستجدات الإصلاح التربوي الأخير بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: المقاربة بالكفاءات; الإصلاح التربوي.

Abstract:

The educational system reform in Algeria defines a profound and continuous review of the educational curricula. The most important feature of this approach is the adoption of the approach by competencies which have become widely known and which overturn the educational curricula and its contents.

There is no doubt that the development of educational curricula can not arise from nothing but the circumstances and reasons for the development and review of school curricula. What is the nature of this new pedagogical approach? What is the reason for its adoption as an epistemological option in reforming education? This is what we will try to answer in this intervention, which we are trying, through an analytical approach to the subject to shed light on the reasons for introducing the competency approach to the field of education, in light of what contained in the references of education and the latest developments in educational reform in Algeria.

Keywords: Competency Approach; Educational Reform.

مقدمة:

في سياق التفكير في ملامح مدرسة المستقبل، واستلهاماً من أهم التجارب العالمية الراهنة في مجال تجديد الأنظمة التربوية، بدأ التخطيط لتصور وصياغة مناهج جديدة تستجيب أكثر لمقتضيات المرحلة القادمة؛ ذلك أنَّ التحدي المعرفي المتمثل في الثورة العلمية المتواصلة وما تبعها من تسارع مطرد في شتى العلوم، وأمام التنامي الهائل لرصيد المعارف والمعلومات، واستحالة تجميعها وخزنها خاصة وأنَّ مصادرها تعددت وتنوعت، لم يعد بوسع المدرسة الجزائرية أن تضطلع بوظيفتها التقليدية، والمتمثلة في نقل المعارف عبر الأجيال المتعاقبة.

لهذا، تُمثِّل المقاربة بالكفاءات جواب المدرسة الملائمة لمواجهة انفجار المعارف وتطور التكنولوجيات وديناميةعالم الإنتاج من ناحية، وحلاً لمعضلة تنوع التلاميذ واختلاف ملامحهم العرفانية والوجدانية من ناحية أخرى. ومن ثم، فإنَّ جوهر التغير في المناهج هو التخلي عن أسلوب تلقين المتعلم معارف جاهزة سرعان ما تسير إلى التقادم، والعمل على إكساب المتعلم سلوكات عرفانية مستديمة بفضلها يُمكنه أن يبحث بنفسه عن مصادر المعرفة وأنَّ يُهيكل المعارف ويُنظمها ويتخيَّر منها ما يستجيب إلى حاجاته، وتظل قدرته على البحث عن المعلومات مفتوحة ومتجددة، وتلك فضيلة التعلم مدى الحياة.

وقد اعتقدت المدرسة الجزائرية منذ مدة طويلة أنَّ إعداد التلميذ للحياة يقتصر على مَدِّهِ مجموعة من المعارف والمهارات الضرورية وكفى، التلميذ يقوم هو بنفسه بعد ذلك، بمَهمة إدماج وتحويل مكتسباته لحل وضعيات من الحياة. وعليه فالمدرسة لم تكن تُدربه على هذا التحويل كما لو أنَّ عملية التحويل تتم بآلية عفوية لديه. وهذا ما نتج لديه تراكم المعارف دون القدرة على تجنيدها، فقَصُرَ منطق البحث والإنجاز والحل والاكتشاف وضعفت القدرة على التصرف في الحياة لديه. لذلك جاء التعديل بضرورة إثراء ودعم وتحسين التربية والتعليم بتبني اتجاه بيداغوجي جديد مستمد من التيار البنيوي الاجتماعي يعتمد على المقاربة بالكفايات سواء الجيل الأول أو الثاني لجعل المتعلمين قادرين على التصرف في محيطهم.

وينطلق التيار البنيوي الاجتماعي من مبدأ أنَّ بناء المعرفة، رغم أنه أمرٌ شخصيٌ، لكنه يتم في إطار اجتماعي في وضعيات ذات سياق دال، وهو يضع في الصدارة الاستراتيجيات التي تُمكن المتعلمين من بناء معارفهم ومناقشة إسهاماتهم داخل مجموعات الأقران، وبذلك هم ينتجون بالتفاعل الاجتماعي ما يُرسي المعارف المرجعية والمنهجية والاجتماعية وما يُنمي لديهم من قيم ومواقف وكفايات عرضية خدمة لنظام الكفايات المستهدفة. فالمقاربة بالكفايات إطارٌ بيداغوجيٌ يعمل على تمكين المتعلم من التحكم في مجريات الحياة بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات وتعقيد في الظواهر، وهي اختيارٌ منهجيٌ يُمكن المتعلم من النجاح في الحياة من خلال تثمين الموارد وجعلها صالحة للتجنيد والاستعمال في مختلف مواقف الحياة، والكفايات شاهدةٌ على ملمح التخرج المنتظر تحقيقه من طرف المتعلم.

وعلى هذا الأساس؛ جاءت هذه الورقة البحثية لتُجيب عن دواعي تبني المدرسة الجزائرية بيداغوجيا التدريس بالكفاءات وفق الإصلاح التربوي الأخير، وهذا من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1-فيما يتمثل سياق الإصلاح التربوي بالجزائر؟

2-ما هي الأطر المرجعية للإصلاح التربوي بالجزائر؟

3-ما هي محاور الإصلاح التربوي بالجزائر؟

4-ما المقصود بالمقاربة بالكفاءات؟ وفيما تتمثل أهدافها؟

5-ما هي مبررات انتهاج المقاربة بالكفاءات في مناهج التعليم بالجزائر؟

6-ما هي مبررات الانتقال من مناهج الجيل الأول إلى مناهج الجيل الثاني؟

1-الإصلاح التربوي بالجزائر- السياق:

يعرف إصلاح المنظومة التربوية بالجزائر مراجعة عميقة ومستمرة للمناهج التربوية أهم ما ميزها تبني المقاربة بواسطة الكفاءات التي قلبت رأساً على عقب مناهج التعليم وهيكلة النظام التعليمي. وما من شك في أنَّ الاهتمام بتطوير المناهج التربوية لا يُمكن أن يتم بفعل الصدفة ولا يأتي من العدم بل أنَّ هناك ظروفاً وأسبابا تكمن وراء التطوير وإعادة النظر في استراتيجيات التعليم ومناهجه. وتطلعنا أدبيات التربية أنه من دواعي تطوير وإعادة النظر في المناهج التربوية ما يُمكن ذكره في النقاط الآتية:

أ-التطورات التي يعرفها المجتمع في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

ب-التطور الحاصل في مجال العلوم والتقنية والعلوم الاجتماعية كعلوم التربية وعلم النفس. وما توصلت إليه هذه العلوم في ما يتعلق بطرق التعليم ونظريات التعلم وأهداف التربية ووسائلها؛ ما استوجب إعادة النظر في المناهج التربوية.

ج-ما تسفر عليه نتائج تقويم المناهج والبحوث العلمية إلى جانب شكوى الجماهير من تدني مستوى التعليم وسوء المناهج. **(الوكيل والمفتي، 2005)**

وعلى المستوى الوطني فمن الملاحظ أن هذه المؤشرات كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى إحداث تطوير جذري في المنظومة التربوية بالجزائر. وتكشفه وثيقة برامج دعم اليونسكو لإصلاح المنظومة التربوية بالجزائر؛ حيث أحصى خبراء اليونسكو بالتنسيق مع مسؤولين في السياسة التربوية بالجزائر مجموعة من النقائص كانت بمثابة مؤشرات جعلت من الضروري إعادة النظر جملة وتفصيلا في النظام التربوي؛ لجعله أكثر انسجاماً مع ما حدث من تحولات على الساحة الوطنية والعالمية. ومن هذه المؤشرات التي دعت إلى تطوير التعليم عموماً والمناهج التربوية على وجه الخصوص ما يأتي:

أ-التحولات التي شهدتها الجزائر في الناحية الاقتصادية وأهم ما ميزها دخول الدولة اقتصاد السوق؛

ب-التحولات التي تعرفها الدولة في الناحية السياسية وتتمثل في التعددية الحزبية واتساع رقعة الديمقراطية؛

ج-عدم انسجام محتويات التربية وطرائق التعليم وهذه التحولات؛

د-إعادة السنة والتسرب المدرسي في مرحلة التعليم الإجباري مع النسبة المرتفعة للرسوب المدرسي في امتحان شهادة التعليم المتوسط؛

هـ-اكتظاظ الأقسام نتيجة النمو الديمغرافي المتزايد ودمقرطة التعليم مما حال دون تحقيق نوعية وجودة التعليم.

وهذه المؤشرات كانت حاسمة في إنشاء المسؤولين في قطاع التربية اللجنة الوطنية لمراجعة البرامج التعليمية سنة 2000.**(ministère de l éducation nationale,2006)**

ولمواجهة هذه النقائص خاضت الجزائر منذ مطلع الألفية الثالثة؛ إصلاحاً تربوياً واسع النطاق شمل تطوير التربية والتعليم ومناهج التعليم ومقارباته وكل هذا في إطار سياسة تربوية ومرجعيات أسست لتطوير التعليم ووضع أركانه ومنهجياته. وفي ضوء هذه المرجعيات اتخذت إجراءات لتحديد استراتيجيات التطوير.

2-الأطر المرجعية لإصلاح التعليم بالجزائر:

المقصود بمرجعية التعليم مجموع النصوص المتضمنة التوجيهات والتعليمات النابعة من السياسة العامة للبلاد والمعبرة عن روحها و المتضمة في الدساتير والمواثيق السياسية التي ينبغي ان تجسدها مختلف الهيئات التنفيذية.

وفي المجال التربوي تقتضي عملية التخطيط التربوي وإصلاحه وتطوير المناهج العودة إلى هذه الأطر المرجعية العامة ذات البعد السياسي والاقتصادي؛ وهي أطر تنسجم مع الخصائص الحضارية والتاريخية للمجتمع ومع تطلعاته المستقبلية.

وفي الجزائر فقد تضمنت وثيقة المرجعية العامة للمناهج، مقاصد الإصلاح المرتبطة بغايات المدرسة الجزائرية؛ حيث تُشير بوضوح إلى أنواع مرجعيات التربية والتعليم كما يلي:

أ-مرجعيات تتعلق بالأمة وقيمها:

تتمثل في تأكيد الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة وشعب واحد؛ وهو شعور يرتكز على إرث تاريخي وجغرافي وحضاري وثقافي بما يرمز إليه الإسلام واللغتين العربية والأمازيغية والعلم والنشيد الوطني. وكذلك التفتح على لحضارات العالم والقيم العالمية التي لا تتعارض وقيمنا.

ب-مرجعيات تتعلق بالسياسة التربوية:

وتتضمن الطابع الوطني والديمقراطي للمنظومة التربوية استمرارا للقيم والمبادئ التي دأبت عليها منذ الاستقلال. والطابع العصري والتقدمي الذي فرضته التحديات الداخلية والخارجية في عالم يتطور باستمرار ومجتمع جزائري ما زال يلح على النوعية فيما تقدمه المدرسة. **(المرجعية العامة للمناهج، 2009)**

وفي الجزائر يُمكن اختزال غايات الإصلاح التربوي الأخير في ترقية وفعالية التعليم لمواجهة مستجدات الساحة السياسية والاجتماعية الجزائرية ومستجدات العالم المعاصر لاسيما مسايرة مقتضيات العولمة.

ويتضح من الغايات السابقة الذكر أن التحدي الذي تفرضه التحولات الطارئة على المجتمع الجزائري يكمن في جهتين داخلية وخارجية. وتبعاً للمؤشرات السالفة الذكر يُمكن حصر مبررات الإصلاح التربوي في الجزائر في جانبين:

أ-التحديات الداخلية: وهي التحديات الاقتصادية والاجتماعية الرامية إلى تحقيق أهداف الدولة الاجتماعية والسياسية وترقية التعليم؛ وهي تحديات نابعة من اهتمامات ومشاكل داخل المجتمع الجزائري، نتيجة لما طرأ عليه في السنوات الأخيرة من تغييرات ومن أزمات على الساحة السياسية والاجتماعية. وقد كان ذلك من دواعي الاهتمام بتغيير مهام المدرسة التي أصبحت أكثر من أي وقت مضى منوطة ببث قيم التسامح والحوار وإعداد الشباب على قيم المواطنة والديمقراطية السبيل الكفيل بترقية نوعية النظام التعليمي.

ب-التحديات الخارجية: تتمثل في الاستجابة لحركة العولمة الاقتصادية ومتطلباتها. **(بختي، 2006، 10-11)**

وتأسيساً على ما تقدم؛ فإنَّ أهداف تطوير التعليم تمحورت حول تلبية احتياجات الدولة في تكوين المواطن وحل مشكلاتها في مختلف مجالات الحياة.

3-محاور الإصلاح التربوي بالجزائر:

يشمل الإصلاح التربوي بالمنظومة التربوية الجزائرية محور تكوين المواطن مجموعة من القيم، فضلاً عن قيم الهوية الوطنية من خلال تنمية لدى المتعلمين مجموعة من القيم:

أ-قيم الديمقراطية والجمهورية: وتتضمن معرفة معنى القانون والتزام سلطة الأغلبية وحقوق الأقليات والقدرة على التعامل الايجابي مع الغير.

ب-قيم الهوية: وتشمل التحكم في اللغات الوطنية وتثمين الإرث الحضاري للدولة الجزائرية والارتباط بالرموز التاريخية والروحية والثقافية للأمة الجزائرية.

ج-القيم الاجتماعية والاقتصادية: وتشمل إكساب المتعلمين معنى العدالة الاجتماعية والاستعداد لخدمة المجتمع والالتزام والمبادرة وحب العمل والعمل المنتج للثروة، كما ترمي المناهج إلى تعليم الطفل مهارات التواصل مع الآخرين والعمل التعاوني وقيم التسامح والحوار وقيم المواطنة واحترام حقوق الإنسان والأقليات، والقدرة على التعامل الايجابي مع الغير؛ وقيم الجمهورية والديمقراطية السبيل الكفيل بترقية نوعية النظام التعليمي.

-محور تنمية القيم العالمية: التي تفرض على المدرسة إعداد كفاءات واستخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في التعليم وفي مختلف القطاعات؛ وهذا ما يُسهم في تحقيق الفاعلية الخارجية للنظام التعليمي والاستجابة لمقتضيات التنمية

ضمن بيئة عالمية. ولقد عرفت مناهج التعليم تغييرات عديدة لتنسجم وهذه التطلعات. فمن حيث الأهداف والمحتويات التربوية، يُلاحظ أنه إضافة إلى أهداف مناهج التعليم الحالية هناك أهداف جديدة تتمثل في تنمية المعارف والمهارات والقيم التي تُؤكد على بعد العولمة. وتُعد تنمية التفكير العلمي من العناصر التي تدعو إليها حركة العولمة، لأهميتها في إكساب المتعلم أنسب الوسائل لمواجهة المشكلات الحياتية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية من حوله. وللتفكير العلمي دور في تنمية الاتجاهات الفرد التي تجعل منه عاملاً من عوامل التجديد الثقافي والتقدم الاجتماعي. ويحتل تنمية التفكير العلمي مكانة هامة لأهميته في إكساب الإنسان أنسب الوسائل لمواجهة المشكلات الحياتية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية من حوله. كما تفرض قيم العولمة إلى جانب تنمية الفكر العلمي التحكم في الوسائل العصرية والاستعداد لحماية حقوق الإنسان بمختلف أشكالها الدفاع عنها والحفاظ علي المحيط والتفتح على الثقافات والحضارات العالمية. **(وزارة التربية الوطنية، مناهج التعليم المتوسط، 2003)**

وتبعا لهذه الغايات، تضمن برنامج الإصلاح التربوي إجراءات من شأنها الرفع من جودة التعليم وتحقيق ملمح التخرج لدى المتعلمين من خلال انتهاج المقاربة بواسطة الكفاءات. فما فحوى هذه المقاربة وما طبيعة هذه الملامح؟

4-المقاربة بالكفاءات- طبيعتها وأهدافها-:

يُعرِّف **غريب وآخرون (2001)** المقاربة بالكفاءات على أنها: "مجموع التصورات والمبادئ والاستراتيجيات التي يتم من خلالها تصور وتخطيط منهج دراسي أو تطويره أو تقويمه والتي تكون أساس ومنطلق وضع أهداف المنهج ومضامينه ووسائل تنفيذه وتقويمه".

وبهذا المفهوم يُمثل مدخل بالكفاءات في مجال التعليم تصور نظري علمي توضع بموجبه وتخطط سائر الأنشطة التعليمية تدريساً وتقويماً وتصميماً لمناهج التدريس. وفي مجال التدريس يعبر مدخل الكفاءات عن بيداغوجية حقيقية تمكن المدرس من تحقيق مرامي المنهاج التربوي في طور من أطوار التعليم، ومن بلوغ الملمح المنتظر في مرحلة تعليمية، عن طريق وضع المتعلم في مواقف تستثيره للنشاط وللملاحظة والتحليل والتفسير والحوصلة وحل الإشكاليات العلمية. فمن مميزات المقاربة بالكفاءات إكساب المتعلم المهارات والمواصفات المرغوب فيها، التي تمكنه من التصرف في وسطه والاندماج فيه.

ويُحدد **حاجي (2005، 22-23)** أهداف المقاربة بالكفاءات في النقاط الآتية:-

-إفساح المجال أمام ما لدى المتعلم من طاقات كامنة وقدرات، لتظهر وتتفتح وتُعبِّر عن ذاتها؛

-بلورة استعدادات المتعلم وتوجيهها في الاتجاهات التي تتناسب وما تُيَّسره له الفطرة؛

-تدريب المتعلم على كفاءات التفكير المتشعب، والربط بين المعارف في المجال الواحد، والاشتقاق من الحقول المعرفية المختلفة عند سعيه إلى حل مشكلة أو مناقشة قضية أو مواجهة وضعية؛

-تجسيد الكفاءات المتنوعة التي يكتسبها المتعلم من تعلمه في سياقات واقعية؛

-زيادة قدرة المتعلم على إدراك تكامل المعلم والتبصر بالتداخل والاندماج بين الحقول المعرفية المختلفة؛

-سبر الحقائق ودقة التحقيق وجودة البحث وحجة الاستنتاج؛

-استخدام أدوات منهجية ومصادر تعليمية متعددة مناسبة للمعرفة التي يدرسها وشروط اكتسابها؛

-القدرة على تكوين نظرة شاملة للظواهر المختلفة التي تُحيط بالمتعلم؛

-الاستبصار والوعي بدور التعليم في تغيير الواقع وتحسين نوعية الحياة.

وبناءً على ما تقدم يرى الباحثان أنه يُمكن اختزال أهداف المقاربة بالكفاءات في ما يأتي:

1-النظرة إلى الحياة من منظور عملي؛

2-ربط التعليم بالواقع والحياة؛

3-الاعتماد على مبدأ التعليم والتكوين؛
4-العمل على تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية.

5-مبررات انتهاج المقاربة بالكفاءات في مناهج التعليم بالجزائر:

قامت المقاربة بالكفاءات على أنقاض المقاربات السابقة ولمعالجة نقائصها. ومن دواعي اختيارها ما يأتي:

أ-الابتعاد عن المناهج التربوية السابقة المتمحورة حول المواد الدراسية والفاصلة بينها واعتماد تنظيمات أكثر كفاءة للمحتويات المدرسية من شأنها النظر إلى محتويات التعليم نظرة واقعية نفعية وشاملة، وهذا لمنح التعليم معنى ودلالة بالنسبة للمتعلم.

ب-الابتعاد عن اللفظية التي ميزت نمط التعليم السائد سابقاً، وهذا بإدماج عدة أهداف معرفية وجدانية وحس حركية خلافاً للمقاربات السابقة التي كثيراً ما ركزت على الأهداف المعرفية على حساب الأبعاد الأخرى لشخصية المتعلم. فالكفاءة تستهدف تكوين الإنسان بكامله القادر على التصرف في مواقف الحياة لا الإنسان العارف.

ب-مواجهة الانفجار المعرفي سيولة المعارف وهذا بتعليم التلميذ كيفية التعامل مع العلوم والمعارف أو التصرف بها وتوظيفها في حل مشكلاته بدل تلقيها وحفظها. وما من شك في أن ذلك يستدعي تعليم التلميذ طرق التوصل إلى هذه المعارف والبحث عنها وطرائق التعلم الذاتي. من مثل طريقة حل المشكلات وطريقة المشروع والاستكشاف.

ج-ضرورة الخروج بالمناهج التربوية من حيز المدرسة إلى المحيط الخارجي. فإلى جانب الأنشطة الصفية هناك أنشطة لاصفية يُمارسها المتعلم من مثل زيارة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يكتسب من خلالها معارف مستقاة من مشكلات الحياة ومهارات متنوعة مفيدة فردياً واجتماعياً.

ويُمكن اختزال ما تقد من مبررات انتهاج المقاربة بواسطة الكفاءات في ما تنص عيه الوثائق المرافقة لناهج التعليم المتوسط. إذ تهدف المقاربة بواسطة الكفاءات إلى مساعدة المتعلم على النظر إلى الحياة من متضور علمي، وتفعيل محتويات المواد الدراسية في المدرسة والحياة وإلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف مجالات الحياة، وحث المتعلمين على التعلم الذاتي.

(وزارة التربية الوطنية، الوثائق المرافقة لمناهج التعليم المتوسط، 2004)

6- مدخل الكفاءات باعتباره إستراتيجية لتطبيق غايات الإصلاح التربوي:

يُعتبر مدخل الكفاءات مقاربة جديدة لتطبيق غايات الإصلاح التربوي، والتي يُمكن أن نشير إليها في ما يأتي:

أ-من حيث المحتويات: لقد استوجبت هذه الأهداف مراجعة وتطوير محتويات التعليم لتنسجم وهذه الأهداف أنَّ المدخل في المناهج الجديدة هو مدخل الكفاءات، الذي يستلزم مقاربة محتويات التعليم في وضعيات إدماجية تكون ذات دلالة بالنسبة للمتعلم، وربط مضامين التعليم بقضايا الحياة. وربط الأنشطة النظرية والأنشطة التطبيقية وتنظيم المناهج في شبكات مفاهمية بدل التعليم الخطي. إنَّ الهدف من ذلك كله هو إعطاء التعلمات معنى وجعلها أكثر وظيفية واتصالاً باهتمامات المتعلم وبالواقع المعيش.

ب-من حيث الطرائق والوسائل التربوية: استدعى الانفجار المعرفي تعليم التلميذ كيفية الحصول على المعلومات بمفرده وهذا بالتحكم في تكنولوجيا الإعلام والاتصال وفي تقنياتها. كما تطلب تدفق المعارف تدريب التلميذ على كيفية معالجتها ما استوجب الابتعاد في التعليم عن التلقين وتطبيق مبدأ تعلم التعلم.(Roegiers, 2001)

7- مبررات الانتقال من الكفاءات الجيل الأول إلى الكفاءات الجيل الثاني:

من السلم به أنَّ المناهج التربوية تخضع للتعديل والتطوير بشكل دوري بهدف:-

- الضبط والتنقيح والتعديل الظرفي الذي يعتبر أمرا عاديا في تسيير المناهج؛
- للتحيين الذي يفرضه التقدم العلمي والتكنولوجي بهدف إدراج معارف أو مواد حديثة لمواكبة العصر؛

-بروز حاجات جديدة في المجتمع، وتطلعات وأفكار جديدة في مجال التربية والتعليم.

انتهجت المدرسة الجزائرية مقاربة الكفاءة الشاملة أو ما يُعرف بمناهج الجيل الثاني لتجاوز النقائص التي عرفت في الجيل الأول ليشرع في تنفيذها مع الدخول المدرسي 2017/2016 بدءا بالسنتين الأولى والثانية من الطور الابتدائي باعتبارهما الركيزة الرئيسية لبناء الهرم التربوي وكذا السنة الأولى متوسط على أن يتواصل إلى أن يعمم على باقي المستويات والأطوار التعليمية، والتي ينتظر منها تحقيق النوعية في تحسين الأداء التربوي، فهي تهدف إلى جعل المعارف النظرية سلوكات ملموسة عن طريق استغلال كل نقاط التقاطع بين المواد وجعلها مواد موحدة متكاملة لتشكيل الكفاءة المستهدفة، فهي تركز على طرح المكتسبات لتنمية القيم والسلوكات بالتركيز كيفية تناول المعرفة والتعامل بها واستثمارها حتى يصبح المتعلم قادرا على حل مشاكله اليومية.**(بن كريمة، 2017، ص: 22)**

تم التصريح بهذه المقاربة من طرف وزيرة التربية الوطنية في المنتدى البرلماني الذي نظمته وزارة التربية الوطنية بالتنسيق مع لجنة التربية والتعليم العالي يوم 17 أفريل 2016، وتم تطبيقها بالسنة الدراسية 2017/2016، ظهور هذه المناهج في ظروف غامضة وتطبيقها بصفة مستعجلة دفع المهتمين بالشأن التربوي الى طرح العديد من الأسئلة حولها: هل هي امتداد للمقاربة بالكفاءات أم تتبنى اتجاه نظري جديد؟ هل تم تكييفها على البيئة الجزائرية؟ هل عمليات التكوين كانت بالفعالية المطلوبة؟ هل تم تهيئة الظروف والأدوات المناسبة لتطبيقها؟

ولقد حدَّدت **جدي (2017)** أهم المبررات الداعية إلى إعادة النظر في مناهج المقاربة بالكفاءات (الجيل الأول) في الجزائر، هي:

-تصميم المناهج السابقة في غياب الإطار المرجعي، حيث تم المباشرة في الإصلاحات قبل صدور كل من القانون التوجيهي للتربية الوطنية 04/08 والمرجعية العامة للمناهج المعدلة حسب القانون التوجيهي 2009، والدليل المنهجي لإعداد المناهج 2009.

-نقص في التنسيق بين الأطوار والمراحل، بحيث تم إصدار مناهج الجيل الأول سنة بعد سنة مما جعلها نفتقد الانسجام والتماسك فيما بينها.

-مصادقة الجزائر في 2015 على برامج التنمية المستدامة للأمم المتحدة التي تلزم كل الدول المنخرطة بترقية التعليم مدى لحياة.

-الأخذ بمفهوم التربية المستمرة والمتجددة.

-تعديل وتصحيح الأخطاء المسجلة خلال تجربة المنهاج الدراسي للجيل الأول من 2003 إلى 2015، والواردة في عمليات الاستشارة حول المنهاج (2013) والتي خرجت بالتوصيات التالية:

- ضرورة نقل بعض المفاهيم إلى مستويات أعلى.
- وجود معارف تفوق مستوى المتعلمين.
- عدم التكفل بالبعد التكنولوجي.
- صعوبة انجاز بعض النشاطات.
- التفطن إلى بعض الاختلالات التي تتعلق بالأنشطة في الكتاب المدرسي.
- تعدد الكفاءات في السنة الواحدة مما يصعب تحقيقها.
- التوقيت غير ملائم لتنفيذ أنشطة المنهاج.

ويُشير **بن كريمة (2017، 24)** أهم ما يميز منهاج الجيل الثاني هو:

-انسجامها مع القانون التوجيهي للتربية وبالتالي مع الغايات المحددة للنظام التربوي؛

-اعتمادها على البنوية الاجتماعية التي تركز على الاستراتيجيات التي تمكن المتعلم من بناء معارفه ضمن العمل التشاركي؛

-الشمولية: وذلك ببناء منهاج لكل مرحلة تعليمية؛
-الانسجام: من خلال اعتمادها على تكامل موضوع أو مفهوم من المفاهيم في عدة مواد قصد إحداث الانسجام الأفقي والعمودي بين المواد لمعالجة تفكك مناهج الجيل الأول، وتنمية الإدماج من خلال تحديد الكفاءات العرضية والقيم بدقة ضمن ما يسمى بتشاركية المواد بحيث تصبح المواد وحدة منسجمة ومتناغمة فيما بينها لتكوين ملمح التخرج لكل مرحلة من مراحل المسار الدراسي؛
-القابلية للتطبيق: وتتم بالتكفل بعملية التكيف مع ظروف الانجاز؛
-المقروئية: وتعني توخي البساطة والوضوح والدقة؛.
-الوجاهة: وذلك لتوخي التنسيق بين الأهداف التكوينية للمناهج والحاجات التربوية.

وتُحدِّد **مزي (2017، 07)** الفرق بين مناهج الجيل الأول والثاني في الجدول الآتي:

أوجه المقارنة	مناهج الجيل الأول	مناهج الجيل الثاني
تصور المنهاج	بناء المنهاج سنة بسنة، والأولوية لمنطق المادة، وكل مادة معزولة عن المواد الأخرى: انتهج مناهج مختلفة الشكل والمصطلحات ونقص في التنسيق الأفقي والعمودي.	نظرة شمولية أو نسقية، بناء المناهج تنازليا من ملمح التخرج الشامل للمرحلة ثم للطور ثم للسنة، تكامل بين المواد مع توحيد شكل المنهاج والمصطلحات، يضمن الانسجام الأفقي والعمودي.
ملمح التخرج	تم التعبير عن ملمح التخرج بشكل غايات لكل مادة وتكفل ببعض القيم لكن بشكل معزول وغير مخطط له	يهدف إلى تحقيق غاية شاملة (ملمح التخرج من المرحلة) مشتركة بين كل المواد مرساة في الواقع الاجتماعي، تتضمن قيم ذات علاقة بالحياة الاجتماعية والمهنية.
النموذج التربوي	بنائي، يستهدف الاستقلالية في بناء التعلم عن طريق تنمية لكفاءات ذات طابع معرفي	اعتماد البنوية الاجتماعية التي تضع في الصدارة الاستراتيجيات التي تمكن المتعلم من بناء معارفه ضمن العمل التشاركي.
النشاطات التعلمية والتقويم	نشاطات تعلمية وأنماط التقويم موجهة نحو التحكم في المفاهيم فقط	إدراج نشاطات تعلمية لتوظيف الموارد المعرفية وتعلم الإدماج ونمو القيم والسلوكات إلى جانب المفاهيم
المقاربة البيداغوجية	نقص في التطبيق الفعال في التعلمات: التركيز على الكفاءات المتعلقة بالمادة ومعارفها مع تقص في الكفاءات العرضية والقيم والسلوكات.	التركيز على مركبات الكفاءات، خاصة الكفاءات العرضية والقيم والسلوكات في كل مكونات المناهج.
هيكلة المادة	تهيكلت على أساس مفاهيم أساسية منظمة في مجالات مفاهيمية	تهيكلت على أساس مفاهيم منتقاة حسب قدرتها الإدماجية ومنظمة في ميادين
المضامين المعرفية	نظمت المحتويات بشكل معارف أكثر ترابطا لخدمة مجال مفاهيمي	نظمت المحتويات على شكل موارد معرفية لخدمة الكفاءة
شروط وضع المناهج حيز التطبيق في الميدان	نقص في تكوين الأساتذة لتطبيق مناهج الجيل الأول، إختلالات بين المناهج والكتاب المدرسي، السنة الدراسية بـ 28 أسبوعا للتدريس	برمجة تكوين مسبق لكل مدرس معني بتطبيق مناهج الجيل الثاني، الكتاب المدرسي الجديد خاضع لدفتر شروط محدد مع احتكار طبعه على جهات دون أخرى، السنة الدراسية بـ 36 أسبوعا (32 + 4 للتقويم)

خاتمة:

إنَّ بيداغوجيا الكفاءات هي إحدى البيداغوجيات التي تعمل على تمكين المتعلم من اكتساب المعرفة والكفاءة والشخصية المتوازنة الفاعلة للوصول به إلى أنموذج المواطن الايجابي الذي يبني ذاته ويُؤسس لها موقعاً في المجتمع والعالم. هذا التصور المنشود للمتعلم -مواطن الغد-لا يُمكنه بلوغه إلا من خلال مناهج تُشكل لبنات متينة تُسهم في بناء الكفاءات على أساس مبدأ الحاجة والحرية، من منطلق أنَّ هذه البيداغوجيا ذات النسق المفتوح، تتطلب تخطيطات ديداكتيكية مرنة تقوم على ما يُعرف بالوضعيات الخصبة القابلة لإنتاج تعلمات حقيقية وذلك بدروس تُنشطها وضعيات تكون في خدمة كفاءات من قبيل التعلم والنقد الذاتي والانفتاح على المحيط وفق ما يستدعي العمل الجماعي والتعاوني داخل القسم أو خارجه.

ولعلَّ اعتماد هذه الإصلاحات يُحيلنا إلى البحث عن المبررات الحقيقية لاعتماد التغيير الشامل بدلاً من التغيير الجزئي للمناهج، وعن المنهجيات والنظريات المعتمدة من طرف القائمين للتغيير أم أنها ارتجالية ومجرد تغيير من أجل التغيير، أو أنَّ هذه الإصلاحات ما هي إلا تغيير للمصطلحات السابقة؟ أم أنها حجة لتمرير أفكار العولمة؟ مما سيرهن مرة أخرى مستقبل أبنائنا، أم هو استجابة للمتطلبات الاجتماعية الجديدة وضرورة النهوض بمستوى المنظومة التربوية في بلادنا. فلا يجب أن يتم النقل الآلي لنماذج أثبتت نجاعتها في بلاد عديدة، بل يلتزم بالعمل على التجذّر المجتمعي، وفق خطوات حقيقية إدارية وبيداغوجية، من بيئة مؤسّساتية، وربط نظام أهداف بالوسائل التي تمكّن من تحقيقها بفضل الاقتباس من العناصر التقليدية، والموروث المعرفي الوطني، وعالمية المعارف.

أولاً: المراجع بالغة العربية:

1-الوكيل، أحمد حلمي والمفتي، محمد أمين. (2005). **أسس بناء المناهج وتنظيماتها** (ط. 1). عمان. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

2-بن كريمة، بوحفص (2017، نوفمبر). **الانتقال إلى مناهج الجيل الثاني من التدريس بالكفاءات في الجزائر: ضرورة أم خيار؟** ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية. لبنان: مركز جيل البحث العلمي. (36)، 21-30.

3- مزي، زينب. (2017). **مستوى تقييم أساتذة الطور الأول في التعليم الابتدائي لمناهج الجيل الثاني –دراسة استكشافية ببعض المؤسسات التربوية بعين وسارة-**، الملتقى الوطني: العملية التعليمية التعلمية في ظل المقاربة بالكفاءات، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.

4-غريب، عبد الكريم والغرضاف، عبد العزيز والفاربي، عبد اللطيف وآيت موحي، محمد. (2001). **معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجية والديدكتيك** (ط.2). الدر البيضاء. المغرب: منشورات عالم التربية.

5-حاجي، فريد. (2005). **بيداغوجيا التدريس بالكفاءات: الأبعاد والمتطلبات** (ط.1). القبة. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

6-روجيز، كزافي. (2006). **المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية** . ترجمة: بختي، موسى. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

7- جدي، مليكة. (2017)، **المنظومة التربوية في الجزائر: من المقاربة بالأهداف إلى الكفاءات الشاملة** ، مجلة أفاق العلوم، الجلفة. الجزائر: جامعة زيان عاشور . 04 (07). 121-129.

8-وزارة التربية الوطنية. **(2009، مارس)، المرجعية العامة للمناهج معدلة** وفق القانون التوجيهي للتربية رقم 08-04 المؤرخ في 23 يناير 2008.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية:

9- Le ministère de l éducation nationale .(2006**). Reforme de l'éducation et innovation pédagogique en Algérie**, Alger. Unesco. onsp.

10- Roegiers xavier. (2001). **Une pédagogie de l'intégration**. Bruxelles .De Boeck Université.